

# الحركات الاجتماعية اليمنية



عبدالرحمن مراد

مع كل لحظة ألم تنشأ لحظة مقاومة، ومع كل حالة قهريّة تنشأ حالة وجودية تظل في حالة تكون وتشكل الى أن تبلغ ذروتها الوجودية، فمفهوم الفيزياء الذي يحكم مسار الطبيعة هو ذاته، فالأفعال لها أفعال مضادة وهي بالضرورة تصب في بوتقة التداغ بين الأنا والآخر خوف الفساد في الأرض والتضخم.

لذلك فكل مسارات التاريخ وسياقاته كانت دالة على أن وجود الآخر أو التالي كان يرتبط سببياً بالأول أو السابق،

وليس البعد العقائدي الذي ينص على الاعتناء بتكامل إيمان الذات ولا يرى في الآخر ضرراً عليها إذا اكتمل إيمانها كما ينص القرآن على ذلك في الآية (١٠٥) من سورة المائدة، فالصراع الحوثي/ السلفي في اليمن صراع وجود له طابعه السياسي الصرف، إذ أن التعايش بين المذاهب في اليمن ظل بعداً ثقافياً متصلاً ولم يشهد صراعاً دامياً طوال مراحل التاريخ المختلفة، وتكاد أن تكون كل المذاهب في اليمن وبعض تلك المذاهب وصل الى الحكم والمآسي الدامية في التاريخ كانت بدوافع سياسية ولم تكن بمبررات مذهبية، حتى مطرفية الإمام عبدالله بن حمزة فقد كان الدافع السياسي حاضراً فيها لكونه جاء السلطة من باب الاحتساب ولم يدع لنفسه لعدم اكتمال الشروط الهادوية فيه، فالمربر كان سياسياً وجودياً أكثر منه مذهبياً أو عقائدياً، وقد أنكر فعله جل علماء عصره ومذهبه.

وبالعودة بالحديث الى الحركات الاجتماعية اليمنية فقد شهد عام ٢٠١١ م بزوغ حركات جديدة وأقول أخرى، فقد بزغت الحوثية من أنين «الصرخة» كمعادل موضوعي يقاوم عوامل الفناء الى شعار الموت الذي يكاد أن يتحول الى بعد عقائدي قد نراه غداً في صورة حزام ناسف أو عبوة مدمرة، فالمسار الذي سارت فيه حركة الإخوان في شعارها أي رغبة الموت والفناء للآخر هو ذات المسار الذي يسير اليه شعار الحركة الحوثية «رغبة الموت وفناء الآخر» ومع مراعاة الفروق بين الحركتين إلا أنهما يتحدان عند نقطة فاصلة وهي «الموت» كمفردة تضاد مع الحياة، وهما بذلك لا يقدمان شيئاً جديداً للإسلام ولكنهما يعمقان من الهوة الحضارية بينه وبين الآخر.

فالموت ليس هدفاً إسلامياً في ذاته وتمثيل الجماعة له في شعارها تأكيد ثقافي عليه، والتركيب العاطفي على هدف معين - كما يرى السيكلوجيون - يمكن أن يؤدي الى الاستهداف للمخاطر ومثل ذلك ينسحب على الأشخاص في الطبقات الاجتماعية كافة، فالفرص المتاحة للتحرك نحو هدف الموت تعتبر محدودة الى درجة كبيرة بواسطة البناء الاجتماعي وكما يرى علماء الاجتماع، فإن التأكيد الثقافي وطبيعة البناء الاجتماعي، هو الذي يؤدي الى ضغط مكثف نحو الانحراف السلوكي والمنهجي ونحو المخاطر.

فشعار الحركة الحوثية قد تجاوز ظروف نشأته النسبية والاجتماعية والسياسية، وقد أصبحت الحركة أكثر تمكينا من ذي قبل، وقد تداعت اليها الفئات الاجتماعية من كل مكان لذا فقد أصبح التحديت في صيغة الشعار وفي القيم التفاعلية والثقافية ضرورة ثقافية وسياسية، فالموت لن يكون نفعاً للبشر والمعيارية الحقيقية في الاسلام هي القيمة النفعية للناس فالخيرية فيها وليس في الفناء والدمار.

ولعل المتأمل في ظروف الراهن السياسية يجدها أكثر تماثلاً مع ظروف بداية الثمانينيات لذلك فالضرورة الثقافية والاجتماعية والسياسية التي أنتجت شعار المؤتمر الشعبي العام المتمثل في «لا حرية بلا ديمقراطية، ولا ديمقراطية بلا عدالة ولا عدالة بدون تحقيق سيادة القانون» هي نفسها من تجعله في الراهن أكثر تمثيلاً لتموجات المرحلة، ومثل تلك الضرورة قد تنقل كاهل القيادات في المؤتمر الشعبي وتزيد من أعباء المؤتمر في مواجهة تحديات المرحلة بالاشتغال الثقافي والسياسي والاجتماعي الذي يعي ملابسات المرحلة ويحاول إحداث الانتقال الاجتماعي والتطوير والتحديت.

فالأمويون مثلاً كانوا سبباً في وجود العباسيين من خلال الحالات القهرية التي خلقوها فصنعت روح المقاومة للفناء القهري وهكذا دواليك في كل الحركات الاجتماعية السياسية في التاريخ، وصولاً الى العصر الحديث الذي شهدنا فيه بزوغ القومية من تحت نيران الاستعمار وبزوغ الاشتراكية من تحت قبعات الاستغلال والغبن، بيد أن الذي يمتاز به العصر الحديث عن العصور التي سبقته هو تطور البعد الثقافي من الشخصية الفردانية الى الشارع.

فالقوميون التفوا حول شعار «أمة عربية واحدة.. ذات رسالة خالدة» والاخوان المسلمون حول شعارهم «الله غايبتنا.. والرسول قدوتنا.. والقرآن منهجنا.. والجهاد سبيلنا.. والموت في سبيل الله أسمى أمانينا..» والاشتراكيون التفوا حول شعارهم «حرية، اشتراكية، عدالة اجتماعية»، وما يؤخذ على تلك الشعارات أنها تظل ثابتة وثباتها يجعلها في قائمة المقدس عند أتباع الحركة الاجتماعية أو السياسية ولذلك تعجز كل حركة اجتماعية أو سياسية عن التطور وتعجز عن تفاعلها مع الشروط الموضوعية للتطور والانتقال والتغيير وهو الأمر الذي يمكننا قرأته تحت سماء ومناخات الربيع العربي وفي اليمن على وجه الخصوص، فالحركة القومية تترست حول رموزها التاريخيين وعجزت عن مقاومة الحالات القهرية التي واجهتها وعجزت عن التحديت والتجدد في بنيتها العامة فكيف لها أن تحدث انتقالاً في عازجة عن تحقيقه لذاتها، وكذلك الحركة الاشتراكية التي تقف على أطلال الامجاد القديمة دون أن تبدع واقعاً جديداً يتوافق مع لحظتها التاريخية المعاصرة ويتفاعل مع قيم العصر البديلة، أما حركة الإخوان فقد كانت تخلق أسئلة العصر الحضارية دون أن تتمكن من الاجابة عليها وحين تشعر بالعجز تعود الى نقاط مضيئة في التاريخ لتبرير عجزها أو تتهمس وراء التاويلات، ولذلك فهي لا تملك مشروعاً نهضوياً أو حضارياً ومن لا يملك مشروعاً لا يمكن للجماهير أن تعول عليه في إحداث التغيير والانتقال..

فالاخوان كحركة اجتماعية وسياسية منظمة مالت الى تحريم الفقر وإثارة عاطفتهم الدينية على الحرب ضد الفقر والجوع.. وعملت على تنظيم المظاهرات التي تنادي بالتغيير ويتحول الاوضاع القائمة عن مجراها الذي هي عليه في واقعها خلال عام ٢٠١١ م في ظل مناخات الربيع العربي وفي الاوطان التي حدثت فيها موجة الربيع العربي «تونس، مصر، ليبيا، اليمن» لم تكن على ادراك تام بطبيعة الفروق والاختلافات في حركات المقاومة الايجابية ضد المجتمع في وضعه القائم، ولذلك خاب ظن المجتمع بها لأنها لم تحقق الدور الذي توقعه المجتمع منها وقد وقع خطاياها في التناقض وبالتالي فقد فقدت تأثيرها من خلال اختلال المنظور الوظيفي، فرجل الدين في تصورات المجتمع، رجل فاضل عادل خير يقوم بواجبه في الدور الذي وجد ذاته فيه، ويحسد في العادة الدور الذي يتوقعه المجتمع منه، ولم يكن في مقدور التصورات الذهنية الوظيفية أن تتخيله خارج مستلزمات دوره الاجتماعي مبرراً ومتناقضاً في مواقفه وفتاواه، ومثل ذلك الاختلال الوظيفي كان سبباً مباشراً في ظهور الحركة الحوثية وهو ظهور قاومته حركة الإخوان وحركة السلفية بالنار والدم ولم تنزل في أكثر من مكان من اليمن، فمقاومة الإخوان والسلفية الحوثية ليست عقائدية كما يبدو في ظاهرها ولكنها مقاومة وجودية، فشعور الفناء خوف ظهور الآخر هو من يقاوم وهو من يقاوم

بعدما عرفت أو سميت الثورة العربية الكبرى وهي كثورة عربية وكبرى تحالفت مع بريطانيا الاستعمار الغربي ضد بقايا الدولة العثمانية - بعد هذه الثورة كربع عربي قديم - فإن بريطانيا لم تظلم أشرف مكة كما ندرس في التاريخ بل كرمتهم كثوريين وكبار الثوار فأرسلت فيصل ليحكم العراق.. وما عرف «بحلف بغداد» كان بين عناوين حكمه كما أرسلت بريطانيا «غازي» ليحكم سوريا.

## مطهر الأشموري

# العرب بين الربيع البريطاني والربيع الأمريكي!

«ريجان».

إذا الجهاد الاسلامي في حروب افغانستان مجرد صفقة لرئيس أمريكي والثورة العربية الكبرى كانت صفقة مع بريطانيا، وأحداث ٢٠١١ م كثورات سلمية هي حبكة وسيناريو غربي تم اسناده إعلامياً وسياسياً وله بعد ذلك ما يريد بدون حاجة لصفقات أو صفقات.

خلال الحرب «العراقية - الايرانية» طرح أن سياسة الاحتواء المزدوج التي اتبعتها أمريكا لاحتواء العراق وإيران والحقيقة أن أمريكا لم تمارس أو حتى فكرت في احتواء مزدوج للعراق وإيران، ولكن كل الصراعات في المنطقة وما يتصل بها باتت مزدوجة وكثيرة العقد والتعقيدات.

فالاختواء المزدوج والاسلحة والأوراق المزدوجة تقترب من ذروة التفعيل في المنطقة فالثورة السلمية والعنف أو الديمقراطية والاسلمة والقاعدة هي أسلحة وأوراق مزدوجة متركمة.

لا يستطيع واقع أي بلد في المنطقة - وليس فقط الارتقاء - الى مستوى ما تشرحه محطة ٢٠١١ م من ديمقراطية كواقعية ووعي وقدرات ومرونة، ولذلك فإنه لا يستطيع أي نظام الدفاع عن ذاته والبقاء من خلال التطبيع مع الديمقراطية أو إعادة ترتيب أوضاع كتموضع سريع والتطبيع مع إسرائيل بات أسهل بكل تبعاته واقعيًا وشعبيًا.

لم يعد أمام أي نظام الدفاع عن ذاته وتطويل عمره أو بقائه الا من خلال أفعال وتفعيل من وفي اصطفا محطة ٢٠١١ م من تموضع الاحتواء المزدوج وازدواجية الاسلحة والقاعدة سوريا هل كان في معطاه العام الداخلي والخارجي لصالح النظام في سوريا أم في غير صالحه. هو في صالحه وهذا يأتي من كون آخرين كائظمة أو تنظيمات تدافع عن نفسها لتحكم كما طرح إمارات وخلافات اسلامية ونحو ذلك أو لتظل في الحكم!

إذا توسعنا وتعمقنا في معطيات ودلالات مشهد كصراع أسلمة سني وشيعي فذلك جانب ووجه من جوانب ووجوه الاحتواء المزدوج كتوجهات وموجهات!

٢٠١١ م أمريكا يجعل الديمقراطية تقبل بهذا. أمريكا ليست استعمارية وليست الاستعمار ولكنها الاستعمال بشراسة اساسية مع بريطانيا ومن ثم الاتحاد الأوروبي وهي تريد وصول الاخوان للحكم كتجسيد لعلاقة احترام تقمينا أمريكا مع العالم الاسلامي تنفيذاً لتعهد «أوباما» من القاهرة، وبالتالي فهي لا تعين ولكنها تمارس تدوير وإقصاء الحكام ثم تؤثر على الديمقراطية لإيصال الاخوان للحكم. بعد توقيع أول اتفاق سلام مع اسرائيل باتت بغداد هي عاصمة المقاطعة العربية لمصر وزعيمة ما عرفت بجبهة الصمود والتصدي والجامعة العربية انتقلت الى تونس ومجئ الثورة الإيرانية سبب تصدع وانهايار كل ذلك.

## الجهاد كان

## مجرد صفقة

## لصالح أمريكا

وبالتالي فتموضع إيران الصراعي وتوابعه أو اصطفاها أراه مستوعباً أمريكياً مسبقاً منذ ما عرف بالاحتواء الأمريكي أو الخط الأحمر لأمريكا أو اسرائيل «نتنياهو».

فأمريكا كانت تحتاج لنصف قرن أو أكثر لعده حقيقي لها لأنها لا تستطيع تأسيس عداء حقيقي في المنطقة كبديل للعداء مع اسرائيل إلا من خلال ذلك وما لديها من متراكم ومستجد تموضع وتوغل وقدرات يتيح لألعاب حرة غير نمطية وغير متوقعة وفوق قدرات القراءة والتوقع بالمنطقة.

حروب الجهاد في افغانستان كانت صفقة لرئيس أمريكي سابق «ريجان» كما أوضحت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون حين كانت عمدة نيويورك فيما الجهاد في سوريا يصبح بالإيحاء للفهم أو للإيغاز ولم يعد «أوباما» أو غيره يحتاج لتبريات وصفقة كما في عهد

فبريطانيا عندما تعين حكماً فهي تسقط حكماً أو أنظمة ومن جانب آخر فيعدما تسمى ثورة عربية كبرى «الربيع العربي القديم» فإن شعوباً تقبل بأن يحكمها حكام تعينهم بريطانيا كتطوير في الاستعمال لما كان يعرف بتعيين المندوب السامي. بريطانيا مارست الاستعمال للثورة العربية الكبرى كربع عربي للإجهاض على بقايا العثمانيين ومن ثم تطورت من المندوب السامي كاستعمار الى تعيين حكام كاستعمال «الربيع البريطاني» أسمي «الربيع العربي» بل والثورة العربية الكبرى.

بريطانيا ظلت بعد الحرب العالمية الثانية، بين ما يعرف بالقوى العظمى والعالم لم تعد الاقوى في الغرب أو في العالم فأمر يكاد باتت الاقوى لتتزعزق القطبية غربياً والاتحاد السوفيتي القوة الموازية التي تزعمت قطبية الشرق.

ما عرفت بثورات التحرر العربي استفاد من تموضع ثنائية الصراع عالمياً وتداخل أوج المد القومي بالأممي.

> حينما أنذرت أمريكا دول العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ م بريطانيا، فرنسا، إسرائيل» فإنما لتأكيد زعامتها للغرب فيما يتصل بمناطقنا وإعادة توزيع المصالح على هذا الأساس.

أمريكا هي الطرف المنتصر في الحرب الباردة وقد مارست مع بريطانيا بشكل أساسي ترتيبات المنطقية منذ تراجع وضعف السوفييت وقبل الوصول للانتصار. أصبح ذلك ما يحس ويسهل قياسه منذ آخر الحروب وأول اتفاق سلام مع اسرائيل وكل المتغيرات جاءت من المحطات الأمريكية.

أحداث ٢٠١١ م كثورات هي ربيع عربي جديد كاستعمال ولكن لأهداف ومشاريع تفرق وتختلف عما كان في زمن الربيع العربي القديم والثورة العربية الكبرى.

فالديمقراطية في واقع بلداننا حتى لو نظمت انتخابات بأعلى نزاهة في ظل تفعيل ما بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ م ما كانت لتوصل الاخوان المسلمين في تونس أو مصر أو غيرها للحكم فيما تفعيل محطة



احمد مهدي سالم

بأدى.. وحتى لا يتفاقم الموقف وينحدر الى عنف أكبر.. تواصل القائد الصوملي معهم وأعادهم الى المعسكر وفتح الطريق .. نحن في زمن الغرائب والحقائق المعكوسة.

بقيت الغصة في الحلق والحسرة في النفوس حتى حصل التكريم الحقيقي المنصف بعد أن شعرت القيادة بطئها وطالتها سهام نقد الاعلام بمختلف وسائله..

عقد مهرجان التكريم في عدن قبيل عيد الأضحى بحضور شخصيات مسؤولة يتقدمها الأخ يحيى الراعي رئيس مجلس النواب، ربما نسيبت أن أذكر أن الصوملي توجه الى سيئون لمباشرة مهامه مع اللواء الجديد.. لحظة بهيجة عندما أعلن مقدم الاحتفال التكريمي اسمه على قائمة المكرمين ووصفه بأنه كان «قائد النصر».

# تفرد قيادي في الزمان الرمادي

وضع 'أمني' مهزوز ومظاهر رعب تتجول في مناطق وسهول وشوارع وأزقة وتعرجات محافظة إبين الجريحة من شبح عودة عناصر القاعدة للسيطرة أو استعادة السيطرة على مناطق بذاتها في مديريات خنفر وزنجبار ولودر.



يقولون: إذا جاءت القاعدة الآن لن تجد صوملياً في مواجهتها، وقادراً على إيقافها، أو تعطيل حركتها، وإضعاف سيطرتها والحيولة دون تقدمها.. مؤشرات الخطر القادم أو الموهوم.. أعاد شاشة الذكري.

في أزمان المحن، ومحطات الشدائد.. تنصهر معادن الرجال لتفرز جينات الشهامة والقداء، ويبرز على مسرح الميدان، رجال الشجاعة والإقدام كما ينزوي في الوقت ذاته، القادة الجبناء المتخاذلون أو المزدوجون أو الهاربون الى فراغ السلامة المذل، وأمان اللحظة الخائفة. في جغرافيا محيط أبين الساحلي وسوحها القتالية.. بزغ سطوع بطولي شرس عنيف في مواجهة مجاميع العناصر الجهادية التي أحكمت السيطرة على أهم مفاصل أبين الحيوية.. يظهر نجم محمد عبدالله الصوملي قائد لواء ٢٥ ميكا سابقاً وضباطه وجنوده بشجاعة فائقة وصلابة غير معهودة واحتمال حصار محكم حتى أزيح عنه شيء من خنافة الحصار لتبدأ مواجهات أكثر سخونة بتمازج والتحام الوحدات الأخرى التي قدمت وشاركت، وخاضت القتال العنيف المهيب مع مقاتلي القاعدة حتى تم دحرهم أو هزيمتهم، وطلع للنصر آباء كثيرون.

في البدء والمنتهى كان الصوملي أقوى قائد عسكري في حروب الأزمة، وأكثرهم شهرة وأبعدهم صيتاً.. ليس في فضاء الوطن فحسب، وإنما تجاوزت سمعته القتالية الى أفق عربية وغربية وتسابقت الصحف والوسائل الاعلامية والمحلية والعربية والعالمية في التواصل معه، وإجراء الحوارات والتحقيقات والتقارير والمقالات في إطار منظومة الصراع ضد القاعدة ومع اشتداد القتال وذرورة الالتحام، كان الجناحان المتصارعان على السلطة في اليمن يتنازعان

والتعريف به.. محمد عبدالله الصوملي قائد اللواء ٢٥ ميكا سابقاً، فدوت القاعة بالتصفيق، وهو تكريم لكل ضباطه وجنوده الذين أحبوه وعاشوا معه أصعب وأخطر اللحظات الفاصلة بين الموت والحياة والذي أرغم على مفارقتهم لحكمة تراها القيادة، وتكريم متأخر خير من تكريم لا يأتي.

## لقطات:

• جاء كثيرون إلى أبين واعتلوا مناصب حساسة فيها ثم غادروا أو معظمهم غادر دون أن يترك شيئاً إيجابياً يذكر به.. ان لم يخلق أوزاراً عدا شخصين في تقديري: الأول:

«مدني» عبدالله محمد لقمان الوكيل المساعد لأبين من ذمار، والثاني «عسكري» العميد الركن محمد عبدالله الصوملي من عمران.

• كان شوكة في حلق المخطط الاسقاطي، وصرخته: لا.. دوت في أفق زنجبار وضواحيها ورددتها في اللحظة ذاتها، جبال وشواحق المناطق الوسطى والعلية.. هكذا يقول عنه البعض، ولا يستبعد أن يكون صموده الاسطوري بتوالي السنين، يحوله الى اسطورة في مخيلة الوعي الجمعي.

• محمد بن عبدالله، وخير الأسماء ما حُمد وعُبد.. كما جاء في الحديث الشريف..

## آخر الكلام:

ستظل رمزاً للشموخ في زمن الركوع

وملهماً لبطولاتٍ قادمةٍ جديدة

يجود بالنفس إن ظن الجواد بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود